محمود محمد طه

رسالة الصلاة

الطبعة الخامسة

ربيع الثانى ١٣٩٠ - يونيو ١٩٧٠

امدرمان ـ السودان ـ ص ٠ ب ١١٥١

الاهـــــــــــــداء

الى كل رجـــل وكل امـــرأة

حيث وجد الرجال والنساء

بسم الله الرحمن الرحيم

« فاصــبر على ما يقولون ، وســـــبح بحمد ربك
قبل طلوع الشـــمس ، وقبل غـــروبها ، ومن آناء الليل
فســـبح ، واطـــراف النهار ، لعلك ترضى * ولا
تمــــدن عينيك الى مـــا متعنا به ازواجا منهم ، زهرة
الحياة الدنيا ، لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وابقى »

صـــدق الله العظيم

مقدمة الطبعة الخامسة :

هذه مقدمة الطبعة الخامسة من كتاب : « رســالة الصلاة » وهو كتاب قد لقى ، بحمد الله ، وبتوفيقه ، اقبالا كبيرا ، ولا يزال الطلب عليه يوجب اعادة طبعه .. ان الصـــلاة كانت ، ولا تزال ، ولن تنفك اعظم عمل الانســـان ، ولكن الناس لا يعرفونها .. هم لا يعرفون لها هذا القدر ، وذلك لانهم لا يعرفون كيف يصلون ..

.. يقول ، تبارك ، وتعالى ، لنبيه ، عن الصلاة : « وامر اهلك بالصلاة ، واصطبر عليها ، لانسالك رزقا .. نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى » والتقوى ههنا « الصلاة » فكان الصلاة ، عندما تتسامى الى القمة ، تكون هى سبب الرزق ، وتغنى عن الكدح الذى هـــو السبب المالوف .. ولكن ، اى صلاة هذه ؟؟ هذه هى الصلاة التى

تكون فيها لربك كما هو لك .. هو معك دائما .. فاسال نفسك : هل انت معه دائما ؟؟ فان لم تكن ، فصل !! فانك لم تصل !! انك لم تصل هذه الصلاة ، وانت لم تؤمر باقامة الصلاة الشرعية الا لتفضى بك الى هذه الصلاة ..

تعلموا كيف تصلون ..

لقد صدرنا هذه المقدمة بآيتين هما فى الصلاة ، وفى الرضا ، الذى هو ثمرة الصلاة .. ((وسبح)) الواردة فى الآية معناها صل .. وهى من السبح ، وهو التصرف ، والانتشار ، والتقلب فى الارض طلبا للمعاش .. ولقد قال تعالى فى هذا المعنى : ((ان لك فى النهار سبحا طويلا)) فكان الصلاة حركة ، وانها لكذلك .. هى حركة من الغفلة الى الحضرة ، ومن البعد الى القرب ، ومن الجهل الى المعرفة .. وهى يجب ان تكون حركة خلف الله ، لا امامه ، فى رضا به ، لامنازعة له .. وهـــذا هو معنى قـــوله ، تبـــارك ، وتعالى : ((وسبح بحمد ربك)) وذلك من قوله : ((فاصـــبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشـــمس ، وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح ، واطراف النهار ، لعلك ترضى)) والرضا هو طمانينة النفس لما تجد من برد الراحة بسكون جيشان الخواطر المشوشة فى الداخل .

تعلموا كيف تصلون ..

لقد كان النبى اكبر من صلى ، واكبر من عرف كيف يصلى ، واكبر من عرف قيمة الصلاة .. كان اذا حزبه امر قام الى الصلاة فتهون بالصلاة ، فى نفسه ، مصائب الدنيا ، لانه يلقى بالصـــلاة الحبيب الاعظم .. ولقد قال : ((حبب الى مـــن دنيـــاكم ثـــلاث :

النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصـــلاة)) .. اقرا مرة اخرى : ((وجعلت قرة عينى فى الصـــــلاة)) .. و ((قرة عينى)) تعنى ((طمأنينة نفسى)) .. فكان نفســـه تنكدر ، وقلبه ينقبض ، وخاطره يتشوش ، فيضطر الى الصلاة اضـــطرارا فاذا قام اليها فاكتحلت بصيرته برؤية الحبيب الاعظم ــ الله ــ صفت نفسه .. وانبسط قلبه وسكن خاطره واصبح راضياً بالله ، قرير العين به .. ((وجعلت قرة عينى فى الصلاة)) ..

تعلموا كيف تصلون ..

ان الصلاة انما هى منهاج بممارســـــته نستطيع النظر الى داخلنا حتى نلتقى بأنفسنا ، فنعايشها ، ونعرفها ، ونحقق السلام معها .. ذلك باننا انما نعايش العالم الخارجى مستغرقين باوهام حواســـنا عنه ، لاهين به عن الحقيقة المركوزة وراءه ، والتى انما هو ظلها .. وقد جعله الله دليلا عليها ، لا بديلا عنها ، ثم قال فى ذلك ((سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق .. او لم يكف بربك انه على كل شىء شـــــــهيد ؟؟)) فآيات الآفاق وسيلة ،وآيات النفوس غاية ، ولا تغنى الوســـــيلة غناء الغاية .. وما الوقوف معها ، والاحتجاب بها ، الا خسرانا مبينا ، وذلك ما نحن لآفته معرضون ، وفى خطره متورطون .. فلكانما نحن من فرط ما تحتوشـــنا دواعى الغفلة قوم نيام .. نحن بحق قـــوم نيام .. الم يقل المعصـــوم ((الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا)) ؟؟ بلى !!

وان لنا الى الانتباه لوسيلة اخرى غير وسيلة الموت ، وقبل وسيلة الموت ، وتلك هى وسيلة الصلاة الواعية ، الصـــــحيحة ، الرشيدة .. وقد امرنا بها المعصـــوم حين امرنا : ((موتوا قبل ان تموتوا)) يعنى ارفعوا حجـــاب الغفلة عنكم بالاطـــلاع على حقائق

الأمور المركوزة وراء الظواهر ، الآن ، وذلك بوسيلة الصـــلاة ، قبل ان يجرى عليكم ذلك بوسيلة الموت ، فيما بعد ، فيكونُ الأوان قد فات ، والندم قد وقع ، ولات حين مندم ..

تعلموا كيف تصلون ..

لكى ترفعوا عن بصـــــائركم ، وابصـــاركم ، حجب الاوهام والاباطيل ، وانما من اجل هذا التعليم كتب هذا الكتاب الذى بين ايديكم .. كتاب « رسالة الصلاة » والله هو المسئول ان ينفع به ، انه نعم المولى ، ونعم المجيب ..

* ◉ *

* ◉ *

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل اننى هدانى ربى الى سراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم ، حنيفا ، وما كان من المشركين * قل ان صـــلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى ، لله رب العالمين * لا شريك له ، وبذلك امرت ، وانا اول المسلمين . »

صدق الله العظيم

مقــدمة الطبعة الرابعــة

هذه هى الطبعة الرابعة من كتاب « رســالة الصــلاة » .. نصــدرها فى هذا الشــهر المبارك ، وكانت الطبعة الاولى منه قد صدرت للناس فى مثل هذا الشــهر المبارك من عام ١٣٨٥ ، وكان يوافق شهر يناير عام ١٩٦٦ ، ثم ان طبعته الثانية ظهرت بعد مرور عام على طبعته الاولى ، وذلك قد كان فى شهر الله المبارك رمضان من عام ١٣٨٦ وكان يوافق يناير عام ١٩٦٧ .. ثم ظهرت الحاجه الى طبعته الثالثة فصدرت فى شــهر محرم من عام ١٣٨٨ ، وكان هذا يوافق شهر ابريل من عام ١٩٦٨ ..

ولم تظفر اى من هذه الطبعات بمقدمة خاصة بها ، وانما كان ذلك بســبب الحاح الأعمال الاخرى علينا .. والآن ، ونحن نعد العدة لاخراج الطبعة الرابعة ، فانا ، بفضل الله ، وبتوفيقه ، نجد الوقت ، ونجد العافية ، لتصــــديره بمقدمة طويلة تتناول بعض قضاياه باستقراء جديد ..

وليس فى عمل الانسان ما هو اهم ، ولا اكمل ، ولا ماهو اعود بالخير ، والنفع ، عليه ، ولا على الانسانية ، من الصلاة ..

والله تبارك وتعالى يقول : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصـــالح يرفعه .. » فالكلم الطيب هو التوحيد .. هـــو « لا اله الا الله » .. والعمل الصالح ، على رأسه الصلاة ، والاعمال الصالحة الاخرى تتبع .. وهى انما يكون صلاحها بصلاح الصلاة ..

والصلاة فريضة ليس فى الدين ما هو اوكد منها .. فاذا كانت الشهادتان فى الدين اول الكلام ، فان الصــلاة فيه اول العمل .. وهى علم ، وعمـــــل بمقتضى العلم ، وهذا ، فى حد ذاته ، يجعلها شديدة الاثر فى توحيد البنية البشرية .. وحكمة مشروعيتها ترجع الى هذا النفع الجليل .. والصلاة ، من ثم ، ليست عمل الشيوخ، او عمل السذج ، والبسطاء ، غير المثقفين ، كما يخيل للشباب ، فى وقتنا الحـــــاضر ، وانما هى عمل الاذكياء ، والمثقفين ، فى المكان الاول .. وسنبذل محاولة هنا ، فى هذه المقدمة ، للتعريف بهـــذا الامر .. وســـــيتجه الحديث الى الدين ، والى الانسان ، والى العقل ، والى وحــدة البنية البشرية ، التى بها يكون الكمال الذى ننشده جميعا ، ونخطىء الطريق اليه .. وبالله التوفيق ..

الدين ..

الدين ما هــو ؟

للدين معان كثيرة .. فهـــو يعنى الاكراه ، ويعنـــى الطاعة ، ويعنى القهر والغلبة .. هذا فى مستوى .. وفى مستوى آخر ، هو يعنى السيرة ، والنهج والمعاملة ..

ففى المعنى الأول ، ورد قوله تعـــالى : « افغير دين الله

يبغون ، وله اسلم من فى الســـموات والارض طوعا ، وكرها ، واليه يرجعون ؟ »

وفى المعنى الثانى ورد قوله تعالى : « ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله ، وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ؟ واتخذ الله ابراهيم خليلا ! » والدين فى هذين المستويين دينان ، بينهما اختلاف مقدار •• ويمكن تســـــميتهما بالدين العام ، والدين الخاص •• ويمثل الدين العام حلقة ، خارجية ، محيطة ، ويمثل الدين الخاص حلقة ، داخلية ، محاطا بها ••

فاما الدين العام فهو شأن الخلائق جميعها ، واليه الاشارة بقول الله تعالى : « تسبح له السموات السبع ، والأرض ، ومن فيهن ، وان من شىء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم •• انه كان حليما غفورا • » وهو بذلك يعنى الأرادة الالهية التى قهرت العناصر ، وسيرت الخلائق الى مصيرها المقدور •• وعن هذا الدين لا يشذ شاذ ، ولا يخرج عليه خارج •• ولا تقع فيه معصية من عاص •• فليس فى حقه الا الطاعة •• وفى شرعه ، من عصى فقد اطاع ، فى عين ما قد عصى •• وليس بطاعة الطائع فيه عند الله عبرة ••

واما الدين الخاص فهو دين الجن والانس ـ وهو بذلك دين العقول المكلفة بترويض الشهوة •• وهو انما ســـمى دين العقول لأن فى شرعه تقع المعصية •• والمعصية هى مخالفة الحكم

الشرعى فى العمـــل ، أو القول ، أو كليهما •• وحكمة الحكم الشرعى قائمة فى العقل الكلى القديم ، ومراد هذا الدين تسيير العقل المحدث فى طريق مرضاة العقل القديم ، ولذلك فان العبرة فى العمل فيه بالنية •• والنية هى استحضار القصـــد من وراء العمل فى العقل ، قبيل الشروع فى العمل ••

وحين يمثل الدين العام إرادة الله ، يمثل الدين الخاص رضوانه •• وانما يستصفى الدين الخاص ، من الدين العام ، كما يستصفى ماء الانهار ، من ماء البحار ، بفضل الله ، ثم بفضل حرارة الشمس التى بها تبخير الماء ، وتصريف الرياح ، وتسخير السحاب بين السماء والأرض •• فالله ، تبارك وتعالى ، قد ارسل رسله لاستصفاء رضوانه من ارادته ، كما ســخر شـــمسه لاستصفاء مائه العذب ، من مائه الملح •• ومصافى الرضوان من الارادة هى العقول البشرية • ومن أجل ان تقوى هذه العقول على الاضطلاع بهذه المهمة امدها الله بالعقول الملائكية ـ بالوحى ـ بجبريل ـ وانما الوحى مرحلة ، ريثما تستغنى العقول عنه ، بفضل الله ، ثم بفضل تفجير الطاقة التى أودعها الله فى البنية البشرية ••

وهــذا ايضـــا ما من أجله قلنا ان الدين الخاص هو دين العقول •• وليســت هناك كرامة ترجى ، لا فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، الا والعقول طريقها ••

الانســـان ••

الانسان ما هو ؟ ومن هو ؟

الانسان حيوان نزل منزلة الكرامة بالعقل •• والانسان لا يزال فى طور التكوين ، ولن يكون لاستمرار تكوينه نهاية ، فهو يتنقل فى منازل الكمال تنقلا سرمديا •• والحيوان يتنقل ايضا ، وقصاراه فى ذلك أن ينزل ادنى منازل الانسان •• فكأن الاختلاف بين الحيوان والانسان اختلاف مقدار ، وليس اختلاف نوع •• والتوحيد يطلب الينا أن ننظر الى جميع المخلوقات ، بله الاحياء ، كسلسلة واحدة متصلة الحلقات ، وان كان حجم الحلقات يختلف اثناء السلسلة •• ولدى هذه النظرة ، فليس فى الوجود الحادث غير الانسان ، وجميع مانراه ، وما لا نراه ، عن هذا الوجود ، انما هو الانسان فى اطوار مختلفة ومتتالية •• والى هذا المعنى المتكامل الاشارة بقوله تعالى : « هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ » ومعنى « هل » هنا « قد » وهذا الحين من الدهر هو امد ممدود ، ودهر دهير ••

وللانسان فى هذه النشأة الطويلة اربع مراحل متصلة الحلقات ، ولا يفصل بينها الا حلقات من السلسلة ، اكبر من سابقاتها ، تمثل قفزة فى سير التطور •• وتمثل هذه القفزة بدورها حصيلة الفضائل العضوية التى استجمعت من خلال المرحلة السابقة •• وهذا التقسيم الى اربع مراحل انما هو لتبسيط البحث فقط : والا فان فى داخل كل مرحلة ، مراحل

يخطئها العد •• وسنجمل الحديث عن هذه المراحل فيما يلى :-

المرحلة الاولى من نشأة الانسان ••

هذه تعنى تطوره فى المادة غير العضـوية منذ بروزه فى الجسد •• وهو بروز فى الازل — فى بدء الزمن •• والى هذه البداية السحيقة اشار تعالى بقوله : « اولم ير الذين كفروا ان السموات ، والارض ، كانتا رتقا ، ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي ، افلا يؤمنون ؟ » ••الرتق ضد الفتق ، وهو يعنى الالتئام •• وعن هذا الامر المرتوق ، قال تعالى ، فى موضـع آخر : « ثم استـوى الى السـماء ، وهى دخان ، فقال لها ، وللارض ، ائتيا طوعا ، أو كرها • قالتا اتينا طائعين » والدخان هنا يعنى الماء ، فى حالة بخار •• فقد كانت السموات والارض سحابة من بخار الماء ، مرتتقة ، ففتقت ، وبرز التعدد من هذه الوحدة •• ولم تكن جرثومة الانسان يومئذ غائبة •• وانما كانت هى ذرات بخار الماء •• ومن يومئذ بدأ تطور الانسان العضوى يطرد ، تحفزه ، وتوجهه ، وتسيره ، وتقهره ، وتصهره ، الارادة الالهية المتفردة بالحكمة •• وقد انفق فى هذه المرحلة من مراحل النشأة أمداً يعجز الخيال تصوره •• ثم انتهت هـذه المرحلة ببروز المادة العضوية ••

المرحلة الثانية من نشأة الانسان ••

وببروز المادة العضوية من المادة غير العضوية ظهرت الحياة ،

كما نعرفها نحن •• والا ، فان جميع المادة ، عضـوية ، أو غير عضوية ، حية •• وكل ما هناك ، أن الحياة بدأت تبرز في المادة العضوية ، بعد أن كانت كامنة في المادة غير العضـوية •• فهى لم تجىء من خارج المادة ••

وأدنى درجات الحياة ، التى نسميها اصطلاحا حياة ، أن يكون الحى شاعرا بحياته •• وآية ذلك ان يتحرك الحى ، حركة تلقائية ، وان يتغذى ، وان يتناسل •• وقد بدأت هـذه الحياة بحيوان الخلية الواحدة •• وبهذه الخطوة الجليلة ، والخطيرة ، افتتح عهد جديد •• عهد عظيم •• عهد الحياة والموت •• ومن يومئذ بدأ رأس سهم الحياة ، وطليعتها في السير •• يالها من بداية !! وفى ذلك قال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون » •• الحمأ الطين الاسود •• والحمأ المسنون الطين المتغير ، المنتن •• والصلصال الطين اليابس ، الذى يصل أى يصوت اذا لمسته •• وانما اخمومى الحمأ لانه قد طبخ بحمو الشمس •• وذلك لأن الارض كانت قطعة من الشمس انفصلت عنها ، واخذت تبرد ، وتجمد ، وتتهيأ لظهور الحياة عليها •• ثم ظهرت الحياة بين الماء والطين •• والى ذلك الاشـــارة بقوله تعالى : « هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شـيئا مذكورا ؟ * انا خلقنا الانسان من نطفة ، امشـاج ، نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا » •• فان النطفة ، فى هـذه المرحلة من مراحل النشأة البشرية تعنى الماء الصافى •• وأمشـاج ، جمع

بشيج •• من مشج ، يمشج ، مشجا ، اذا خلط بين شيئين •• وهما هنا الماء والطين •• فالنطفة الأمشاج ، هى الماء المخلوط بالطين ••

وهذه المرحلة الثانية ، من مراحل النشأة البشرية ، التى بدأت بحيوان الخلية الواحـــدة ، فى القاعدة ، تنتهى عند أعلى الحيوانات الثديية ، فى القمة •• وحين تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل النشأة ، انما تبدأ بقفزة جديدة ، مذهلة ، بها يدخـــــل الانسان ، كما نعرفه اليوم ، فى مسرح الحياة ••

المرحلة الثالثة من نشأة الانسان ••

هذه هى المرحلة التى نحن نعيش الآن فى أخريات أيامها ، وهى قد بدأت يوم ظهر آدم النبى ــ الانســـــان المكلف ــ فى الارض •• وآدم هذا ، ليس هو آدم الخليفة ، الذى خلقه الله كاملا ، أو يكاد ، فى الجنة ، واسجد له الملائكة •• وانما هو طور من اطوار ترقى الخلقة التى انحطت عن آدم الخليفة ، نحو مرتبة آدم الخليفة •• ذلك بأن آدم الخليفة ــ آدم الكامل ــ قــد خلق فى الجنة ــ فى الملكوت ــ ثم لما ادركته الخطيئة طــرد من الجنة ، واهبط الى الارض •• وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : « فتعالى الله الملك الحق ، ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدنى علماً * ولقد عهدنا الى آدم ، من قبل ، فنسى ، ولم نجد له عزماً * واذ قلنا للملائكة اسجدوا

لآدم ، فسجدوا ، الا ابليس ، ابى * فقلنا : ياآدم ، ان هذا عدو لك ، ولزوجك ، فلايخرجنكما من الجنة ، فتشقى * ان لك الا تجوع فيها ، ولا تعـــــرى * وانك لا تظمأ فيها ، ولا تضحى * فوسوس اليه الشيطان ، قال : يا آدم هل ادلك على شـــــجرة الخلد ، وملك لا يبلى ؟ * فأكلا منها ، فبدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه ، فغوى * ثم اجتباه ربه ، فتاب عليه ، وهدى * قال : اهبطا منها ، جميعاً ، بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ، ولا يشقى * ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ، ونحشره ، يوم القيامة ، اعمى » •• وعن طرد آدم من الجنة ، واهباطه الى الارض ، بعد خلقته فى اقرب صورة الى الكمال • ورد القول الكريم : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم * ثم رددناه اســـــفل سافلين * الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون » وكان آدم ، وزوجه ، من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فأنهما تابا ، وندما، بعد الزلة ، وقالا : « ربنا ظلمنا انفســـــنا ، وان لم تغفر لنا ، وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين » هذا فى حين ان ابليس ، الذى تولى اغواءهما ، لم يتب ، ولم يندم ، ولم يطلب المغفرة ، ولا الرحمة ، وانما طلب الامهال ، والأنظار : « انظــرنى الى يوم يبعثون » فلما اجيب الى طلبه : « انك من المنظرين » ، اظهــر اصراراً على الاستمرار فى الاغواء : « فبما اغويتنى لأقعدن لهم

صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين ايديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد اكثرهم شـــاكرين » ولذلك لما ردوا جميعا الى اسفل سافلين ترك هو هناك ، واستنقذ الله آدم وزوجه ، وهداهما بايمانهما سبيل الرجعى .. فهذا معنى قوله تعالى : « الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » وعندما رد آدم الى اسفل سافلين كان فى نقطة بدء الخليقة ــ فى مرتبة بخار الماء ــ ثم بدأ سيره بتوفيق الله ، فى مراقى القرب ، حتى اذا بلغ مبلغ النبوة على الارض ، فكان الانسان المكلف الاول ، كان قد بدأ ينزل بصورة ، محسوسة ، اول منازل القرب من مقام الخلافة العظيمة التى فقدها بالمعصية ، ولكنه كان لا يزال عن كمالها بعيدا .. وبنزوله هـــذه المنزلة الشريفة اصبح له ذكر فى الملكوت ، بعد ان سقط ذكره زمنا طويلا .. وفى ذلك يقول تعالى : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ »

النبوة الاولى ــ خلافة الارض :

وهذه المنزلة التى نزلها آدم ، فى طريق العودة من التيه ، والتى كان له بنزولها ذكر في ملكوت الله ، هى منزلة أول نبوة على هـــذه الأرض ، وبذلك فـان نازلهـا أول خـليفة في هذه الأرض .. وقد حاول نزولها قبل آدم ابو البشر أوادم كثيرون ، فلم يفلحوا ، وانقرضوا ، واستمرت محاولة طلائع سلالة الطين فى نزول هـــذه المنزلة الشريفة ، وكان الفشل لهم

بالمرصاد ، حتى اذا استقر فى اذهان الملائكة انهم لن يفلحوا ، تأذن الله بظهور المحاولة الناجحة ، فكان آدم ابو البشر •• ولما آذن الله ملائكته بأنه سيجعل ، من سلالة الطين ، فى الارض خليفة ، عارضوا : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال : انى اعلم مالا تعلمون ❊ وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئونى باسماء هؤلاء ، ان كنتم صادقين ❊ قالوا سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم ❊ قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم ، قال : ألم اقل لكم انى اعلم غيب السموات ، والارض ، واعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون ؟ » • ولقد عارض الملائكة فى اتخاذ الله الخليفة من سلالة الطين قياسا على سابق علمهم ، المستمد من سابق تجاربهم مع الأوادم السابقين •• فلما كشف الله لهم كمال النشأة البشرية المتمثل فى مقدرتها على التطور ، والترقى ، والخروج ، باستمرار ، من الجهل الى العلم ، اذعنوا ، وانقادوا•

ولقد جرت جميع هذه الامور ثلاث مرات ، ثلاث مرات •• فآدم قد خلق ثلاث مرات : مرتين فى عالم الملكوت ، ومرة فى عالم الملك •• ذلك بان الاسماء المسيطرة على الخلق هى العالم ، المريد ، القادر •• فبالعلم احاط الله بمخلوقاته ، فى عالم الملكوت ، وبالارادة نزل بالاحاطة الى التخصيص ، فكان اقرب

الى التنفيذ ، وان لم يزل فى عالم الملكوت ، ولكن مما يلى عالم الملك •• وبالقدرة نفذ فى عالم الملك ، ما تمت الاحاطة به اجمالا ، وتم تخصيصه تفصيلا ، فى عالم الملكوت •• فعالم الملكوت عالم العقول ، وعالم الملك عالم الاجســـــاد •• وكل شىء فى عالم الملكوت مسيطر على نظيره فى عالم الملك •• لأن عالم الملكوت عالم لطائف ، وعالم الملك عالم كثائف •• ولكل لطيف ســلطان على كل كثيف •• وهذا معنى قوله تعالى : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء ، واليه ترجعون » •• وانما ترجع كثائفنا الى لطائفنا ، وذلك بخضوع نفوسنا ، وهى كثائف ، لعقولنا ، وهى لطائف •• وقمة اللطائف فى ذات الله ، ومن ثم وجب الرجوع اليه تعالى ، وانما يكون الرجوع بتقريب صفاتنا من صفاته ، وذلك بفضل مدركات العقول المرتاضة بادب الحق ، وادب الحقيقة ••

نشــــــأة العقل ••

العقل هو القوة الدراكة فينا •• وهو لا يختلف عن الجســـد اختلاف نوع ، وانما يختلف عنه اختلاف مقدار •• فالعقل هو الطرف اللطيف من الحواس •• والحواس هى الطرف اللطيف من الجسد •• وانما بصهر كثائف الجســـد ، تحت قهر الارادة الالهية ، ظهرت لطائف الحواس ، ثم لطائف العقول ••

ولقد امتازت هذه المرحلة الثالثة من مراحل نشأة الانســـان بظهـــــور العقل •• ولم يكن العقل غائبا عن المرحلة الاولى ، والمرحلة الثانية ، من مراحل النشـــأة ، ولكنه كان كامنا كمون

النار فى الحجـــر ، ثم صـــــحب بروزه ، من الكمون الى حيز المحســـوس ، هذه المرحلة الثالثة •• وعن حركة بروز العقل ، ووسيلة بروزه ، يخبرنا الله تبارك وتعالى ، فيقول : « انا خلقنا الانسان من نطفة ، امشاج ، نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا ❋ انا هديناه الســـــبيل ، اما شاكرا ، واما كفورا » •• فالنطفة الامشـــاج تعنى الماء المخلوط بالطين ، وذلك عند ظهور الحياة بالمعنى الذى نعرفه ، وهــذا يؤرخ نهاية المرحلة الاولى ، من مراحل نشأة الانســـــان ، وبداية المرحلة الثانية •• ولا تزال الحياة ، فى القاعدة ، تستمد من هذا المصدر •• ثم اخذت الحياة تلد الحياة ، بطريقة ، أو باخرى ، وذلك فى مراحلها الدنيا ، وقبل ان تتطور ، وتتعقد ، وتبرز الوظائف المختلفة ، للاعضــــاء ، وللانواع •• وقبل ان تبرز الانثى بشكل مستقل عن الذكر •• وتمثل هذه الحقبة طرفا من المرحلة الثانية من مراحل نشـــــأة الانســـــان •• ثم عندما ارتقت الحياة ، وتوظفت الوظائف ، اصبحت الحياة تجىء من التقاء الذكر بالانثى ، واصـــــبحت النطفة الأمشاج تعنى ماء الفحل ، المختلط ببويضة الأنثى ••

وكل السر فى عبارة « نبتليه » ، لأنها تشير الى صهر العناصر فى الفترة التى سبقت ظهور المادة العضوية •• وتشير الى صراع الحى مع بيئته الطبيعية ، بعد ظهــور أول الأحياء ، والى يوم الناس هــذا •• « فجعلناه » نتيجـــة لهذا الابتلاء ، والبلاء ، « سميعا بصيرا » اشارة إلى بروز الحواس فى الحى ، الواحدة

تلو الاخرى .. وبعد ان اكتملت الحــواس الخمس ، واصبح الحى حيواناً سوياً انختمت المرحلة الثانية من مراحل النشــأة البشرية ، وبدأت المرحلة الثالثة ، وذلك ببروز لطيفة اللطائف ــ العقل ــ والى ذلك الاشارة بالآية السابقة « انا هديناه السبيل ، اما شاكراً ، واما كفورا . » .. « اما شــاكراً ، واما كفورا » تعنى انا هديناه الى الشكر عن طريق الكفر ، أو قل الى الصواب، عن طريق الخطأ .. واليه أيضا الاشــارة بقوله تعالى : « ألم نجعل له عينين ؟ * ولسانا وشفتين ؟ * وهديناه النجدين ؟ » .. قوله : « ألم نجعل له عينين ؟ » اشارة الى الحواس جميعها .. قوله « ولسانا وشفتين ؟ » اشارة الى العقل .. فانه هنا لم يعن باللسان مجرد الشريحة المقدودة من اللحم ، والتى يشارك الانسان فيها الحيوان ، وانما اشار باللسان الى النطق باللغة ، ولذلك ذكر الشفتين لمكانهما من تكوين الاصـــوات المعقدة ، المختلفة التى تقتضيها اللغة .. واللغة ترجمان العقل ، ودليله .. ثم قال : « وهديناه النجدين » .. أصل النجد ما ارتفع من الارض .. وهو هنا الطــريق المرتفع .. و « النجــدين » الطريقين : طريق الخطأ ، وطريق الصواب .. ولقد هدى الله الانسان الطريقين .. فهو يعمل ، فيخطىء ، فيتعلم من خطئه .. وحين هدى الله الانسان النجدين ، لم يهد الملائكة الا نجــداً واحداً ، وهو ايضا لم يهد الشياطين الا نجداً واحداً .. وذلك